العائلة الجديدة ... لا يفتكرون ان هذه العادات وغيرها ، بل هذه التبذيرات تبعد كثيراً من الشبان الفضلاء عن التقدم والاقدام على الزواج

هذا وان اهل العروس لا يطمعون فقط في صهرهم ، انما ام العروس لا تشبع من انفاق ما عند زوجها على تهيئة « جهاز » زائد لابنتها وهذا « السباق » الغريب جارٍ بين الامهات فكل منهن تريد التفوق في بذل المال في هذا السبيل فلا يبقى في المخازن والدكاكين نوع او لون من الاقمشة الحريرية والقطائف والرفائع والقصب الاجلبته، انها لا تقنع بعشر بدلات مناسبة انما تهيئ عشرين وخمسين او اكثر وهي في ذلك تدعي انها تحافظ على « اهمية مركزها » لكيلا يقال ان جهاز ابنة فلان اكثر وافخر من جهاز ابنتها ! انها تغتار على « شهرتها » ولا تغتار ولا تشفق على مالية زوجها التي تتأثر اي تأثر من جراء ذلك التبذير! انها تعلم ان كثيراً من هذه البدلات والملبوسات تبطل « مودتها » بعد الزواج حالاً ولا تتمكن ابنتها من لبسها انما تبيعها بنصف الثمن او ربعه فيذهب المال ضياعاً ، اجل انها تعرف هذا ولكنها على كل حال لا تشاء ان يغلبها احد في السباق الى الانفاق الزائد !... فقد تباع الاملاك وبيوت السكنى والاراضي وغيرها في سبيل « الجهاز » ! وقد يفلس التجار من جراء زواج بناتهم او بالاحرى لقلة فطنتهم وفطنة نسائهم في ذلك

لو كانت العائلات تكتفي بشيء مناسب ومعقول من هدايا العريس وجهاز العروس ، وتضع مثلاً في المصارف « البنوكة » ما يخصص للزواج من كلا الطرفين ، فيثمر ، ويضمن للعائلة الجديدة اسباب الرفاه افما كان هذا افضل واربح ؟ هلا تفتكر الوالدة ان ايام الحياة الزوجية البيض قد يعترضها ايام سود ينفع فيها «الذخر» الذي يدخر كما يقول المثل «من اليوم الابيض الى اليوم الاسود»؟

هلا تعلم الوالدة ان كثيراً من المتزوجين لا يكادون يقضون ايام الفرح الاّ ويشرعون يسمعون الدائنين يطالبونهم ويفضحونهم ويمرمرون حياتهم ويجبرونهم على اغتصاب حلى نسائهم فينشأ النزاع في العائلات ويتولد الفتور ؟ ويا ويل المنزل الجديد اذا برد فيه الحب باكراً ودخل فيه الشقاق ! فهل من مصلحين مقتدرين ، يقومون على عادات التبذير هذه التي يحق لنا ان نقول انها « آفة » الزواج وآفة العائلات ؟ ! ألا متى نرى هذه العادات وامثالها تزول فيرتاح الكثيرون والكثيرات وتسعد الأسر ؟

« يتبع »

ماري انطوانت

تتمة

ومما زاد في الطين بلة موت الخطيب البليغ ميرابو سنة ١٧٩١ وقد كان في اواخر ايامه يعضد الملك ويدرأ عنه شر اعدائه فاصبح بموته كالسيف عري متناد من الحامل . فلما عزم على الخروج من فرنسا سراً جرياً على خطة سائر اعيان البلاد زاد الخرق اتساعاً حتى اذا انسل الملك وعائلته في ٢٠ حزيران سنة ١٧٩٢ من باب التويلري ليلاً وما بلغوا مدينة فارين كشف امرهم فقبض عليهم وارجعوهم الى باريز قوةً واقتداراً وقد اهتاج الشعب جداً وكانت الهزيمة مدعاة لزيادة الامتهان واثارة ضغائن غلاة الحرية واندفاع رعاع الامة الى شتم الملكة على مرأى منها ومسمع وهي صابرة كظيم وكان يخطر لها لسذاجتها ان تظهر امامهم وتتفصل لهم عما اتهموها به ظناً منها ان كلامها يزيل احقادهم فتعود المياه الى مجاريها

على ان الملك لويس السادس عشر ظل على خلقه الفطري من التقلب والمراوغة حتى سئم الاحرار منه ونفد صبرهم عليه فعولوا على الايقاع به و بسائر اسرته وامرت جمعية الكونفانسيون بنقلهم جميعاً الى دار التامبل سجناء فيه ومنعوا عنهم الاتباع والخدم ثم جاءهم شخصان من جمعية الكونفانسيون فقال احدهما للملكة اني جعلت لكِ امرأتين ممن اثق بهما ليقيما على خدمتكِ

— لاحاجة لي اليهما

— اذاً ليس لكِ الا ان تخدمي نفسك بنفسك واعلمي انه لا يكون لك من تريدين لخدمتك . ثم اقيم عليها الرقباء يرصدون اعمالها ليلاً نهاراً بحيث انها لم تكن تأتي على عمل او تنطق بكلمة الا على مشهد منهم ودام الحال معها على هذا الشكل من القسوة والجفاء الى العشرين من كانون الاول سنة ١٧٩٣ ويا له من يوم اظلمت به الدنيا في عيني ماري انطوانت و بلغ الحزن منها مبلغاً يفتت اكباد الصخور اشفاقاً عليها

في ليل ذلك اليوم المريع جاء دار التامبل وزير العدلية ونفر من رجاله وخلوا بالملك وقرأوا عليه الحكم الصادر باعدامه فتلقى الخبر بجأش رابط وبكل سكينة وثبات الا انه سأل ان يمهلوه ثلثة ايام ريثما يتهيأ للموت فما اجيب الى طلبه وانما ابيح له ان يقابل اهل بيته في قاعة الاكل مقابلة الوداع الاخير تحت مراقبة الحراس والجند

فدخلت ماري انطوانت قاعة الاكل ماسكة بيدها ابنها الصغير ومن ورائها شقيقته البرنسيس اليزابت ودخلوا القاعة صامتين خاشعين بقلوب واجفة وافئدة تتقطع واضلع تتمزق وشرعوا يقبلون الملك و يقبلهم و يعانقونه و يعانقهم والحرس واقفون للمراقبة فلم ينظروا غير التعاسة والشقاء ولم يسمعوا

غير تصاعد الزفرات وتتابع الحسرات

خرج الملك من دار التامبل موثق اليدين وسار بين الحراس والجند غير هياب ولا وجل حتى بلغ المكان المعد لقتله فانفذ الحكم فيه وترك الحسرة لاهله ومريديه فطلبت ماري انطوانت الى الحكومة لباس الحزن وكانت قد طلبت من قبل دثاراً لفراشها يقيها صبارة البرد فابوه عليها لأنها سجينة والسجين لا يحق له استعمال الدثار على انهم منحوها لباس الحزن لتدوم لها ذكرى الفاجعة المؤملة

هذه هي المرأة التي لم تكن تعرف غير النعيم والهناء ولا شهدت من الناس الا التبجيل والتعظيم امست سجينة في دار التامبل تقاسي الوحشة وحرقة الحزن مجردة من كل اسباب الراحة حتى من دثار يقيها لذع البرد القارس ولم يبق لها في الوجود من سلوى تخفف بها كربها الا ولدين صغيرين تضمهما الى صدرها فيكونان له برداً وسلاماً وكأن الحكومة الناقمة عليها لاترضى لقلبها الكسير الا ان يكون جرحه بالماً اليماً ولذلك امرت ان ينتشل فلذة كبدها من حضنها فجاءها الرجال ليلاً وهي نائمة وايقظوها وقبضوا على ابنها فذعرت ورمت بنفسها عليه كالبؤة الروؤم وقد صاحت باعلى صوتها قاتلة اقتلوني انا اولاً فزجروها بقسوة وقالوا لها اليك عنه والا قتلناه بين يديك فتركته مرغمة ثم علمت انهم يريدون ابعاده عنها ولن يقتلوه فسكن روعها قليلا

وفي اول آب ١٧٩٣ قرر الكونفانسيون محاكمة ماري انطوانت وان تنقل الى السجن وفي اليوم التالي بعد نصف الليل جاءت شرذمة من الجند الى دار التامبل فايقظوها من النوم واعلموها بما امرت الحكومة فامتثلت للحال وسارت معهم وبينما هي خارجة من الدار مبلبلة البال مضطربة الخاطر صدم رأسها الباب

فسألها الحارس قائلاً هل تضررت من الصدمة ؟

— ما من شيء يزيدني ضرراً عما انا عليه

وكانت ابنتها والبرنسيس اليزابت قد سألا الحراس ان يسمحوا لهما بالذهاب مع الملكة فابوا ذلك عليهما.. عندئذٍ تقدمتا اليها فتعانقن عناق وداع لالقاء بعده والتفتت ماري انطوانت الى ابنتها وقالت لها اتكلي على الله تعالى وتذرعي بالصبر الجميل واحفظي ما اوصاكِ به ابوكِ وكوني لعمتكِ اطوع من بنانها والله يتولاكما و يخفف احزانكما

وكانت ماري انطوانت لتتابع المصائب عليها قد نحل جسمها وهزل قوامها حتى تنكرت عن عارفيها فسار بها الجند حتى وصلوا بها الى السجن فزجوها فيه وهو اصطبل قذر مظلم تأنفه البهائم فصبرت على الشقاء صبراً حيّر الحراس وادهش العالمين وكان بعض النساء من السوقة يزرنها في الحبس اشفاقاً عليها و يقدمن لها الفواكه والاثمار

وفي ١٧ ايلول سنة ١٧٩٣ انتخب الجاكوبيون القضاة لمحاكمة ماري انطوانت وعينوا جلسة المحاكمة في ١٥ تشرين الاول تحت رئاسة هرمان وكان المحامون عنها شوفو لاكاد وترونسون فاحسنا دفاعهما عنها على ما اجمع المؤرخون

اتهمت ماري انطوانت انها هي التي كانت السبب في ما ابداه زوجها لويس السادس عشر من المطل والتحيل ومناوأة الاحرار وانها كانت تعمل جهدها على مضادة الحرية والتنكيل بدعاتها وانها تريد ان تتبوأ العرش ولو على جثث الشعب وانها ارسلت لشقيقها امبراطور النمسا مبلغاً طائلاً من مال الامة الفرنساوية يبلغ المئتي مليون من الفرنكات وجاء الشهود واقرّوا في المجلس جهاراً بصدق هذه الشكاوي

حينئذٍ اعلن الرئيس هارمان قرب انتهاء المحاكمة وانه لايسمح للمحاميين من الوقت للدفاع عنها الاّ ربع ساعة فنهضا للكلام وجالا في ميدانه بحماسة وشجاعة ممزوجتين ببلاغة تخلب الالباب الاّ انهما اوقفا عن الكلام وختمت المحاكمة وحكم القضاة على ماري انطوانت بالقتل لانصرة للحق ولاتباعاً للضمير وانما خشية على انفسهم من وعيد زعماء الثورة و بطشهم

قرئ الحكم الجائر امامها فسمعته بكل هدوء وتؤدة ورجعت الى سجنها في الهزيع الاخير من الليل وسمح لها في تلك الساعة ان تمسك القلم وتقرب من الضوء . فكتبت في ذلك الموقف الحرج الى ابنة حميها البرنسيس اليزابت سطوراً معدودات مرّت عليها السنون الطوال وهي كلما قرأها النابض استنزفت منهم الدمع حزناً فاحنوا رؤوسهم احتراماً لصبرها واعجاباً ببراعة جأشها .

وما طلعت شمس ذلك اليوم حتى اوثق الجند بمنتهى شدتهم تلك اليدين اللتين كان تقبيلهما غاية الشرف ومنتهى المجد واركبوا الملكة عربة البضائع فسارت بها الهوينا حتى انتهت الى شارع سانت اونوره حيث اطل عليها ابنها وناداها متلهفاً ولم يدر ما وراء الاكمة ويا له من منظر مهيب اذ التفتت امه المسكينة نحوه وابتسمت له ابتسامة الموت ثم بكت بدموع سخينة

وفي اليوم التالي ظهرت الجرائد الباريزية تذيع للملأ الفرنساوي خبر قتلها وتقول انها صعدت النطع بصبر وشجاعة وانها وهي صاعدة اليه لتلقى حتفها صدمت رجلها احدى قوائم الآلة فتراجعت الى الوراء وقالت بكل سذاجة للجلاد : سامحني ياخواجه وكانت هذه العبارة آخر كلام نطقت به

خ . س